رسالة الرئيس العماد ميشال عون التي وجهها إلى المشاركين في اجتماعات المؤتمر الوطني اللبناني الثاني الذي عقد في باريس بتاريخ ١٧ - ١٨/٢/١٩٩٦

أيُّها المؤتمرون، للمرَّة الثانية تعقِدون مؤتمركُم الوطني في باريس، فتُقيمون لحرية الوطن المغيّب مؤتمراً في عاصمة أمِّ الثورات، العاصمةِ التي شهِدت هي أيضا التغييب وعاشت مرارته في الأربعينات. من أمِّ الشرائع تجيئونَ، إلى أمِّ الحرية والإخاء والمساواة. فثانية أرحب بكم وأناديكم: يا أحرار لبنان، اتّحدوا. اتّحدوا في التطمينات الكثيرة، بل عليها، لأنها أسباب قلق. اتّحدوا، لأنه ما نام شعب على حرير التطمين، إلا واستفاق نادماً مخذولاً.

يخنقون لبنان كلّ يوم ويُبشّروننا بأنه لن يموت اطمئنوا. فهلاّ نطمئن؟ ويأخذون كلّ يوم من حرية تتشبّثون ببقاياها، وبعضٍ من سيادة تتمسّكون برمَقِها، وشيء من استقلال تستميتون في سبيل بقاء بقيّته، ويعدوننا بكلّ هذا ... فهل نصدِّق؟ يُفاوضون عنّا ويربطون مسار مفاوضاتنا بمسارات الآخرين، ويقولون استعدّوا فالمفاوضات آتية، والدعوة إليها قريبة ...فهل نستعدّ؟

وحدهنَّ "العذارى الجاهلات" من أهل الحكم عندنا يُصدِّقنَ، وينتظرنَ على الأبواب مستعجلات الدخول، ولا زيت في مصابيحهنَّ، فهل نتأمل؟ كلاَّ لا تتأملوا، بل كونوا أنتم كتلك "الحكيمات" واستعدّوا لغير كلّ هذا وأملأوا مصابيحَكم زيتاً، وعقولَكم حكمةً، وقلوبَكم إيماناً وصموداً ورجاء.

عمّا أُحدثُكم اليوم؟ أعنْ وضعِ الوطنِ الداخليّ وانتم تعيشونَه كلّ لحظة؟ لا لن افعل، وإني إن فعلت، فمن اجل أهل التطمينات والوعود والتباشير، ليعلموا أن الوطن - الرسالة هو اليومَ في "الحاضنة السورية"، تؤخَذُ كلَّ لحظة من نِعَمِهِ نِعمّة، ليُعطى بديلاً عنها زاداً شحيحاً ضماناً للاستمرار.

وإن خرج الوطنُ المنكوبُ من الحاضنة السورية مرّةً، فإلى الحاضنةِ الإسرائيلية، لتأخذَ منه هذه، ما تعجز عنه تلك، في مسارٍ متناغمٍ بين الحاضنتين هادفٍ إلى إنهاك الوطن الصغير وتفتيت كيانه على مرأى من العالم ومسمع.

يؤخذُ منّا الكثيرَ في الخفاء، ونُعطى القليلَ في العَلَن، فيسكت أهلُ التطمينات والوعود على كثير أُخِذ، ويُطبِّلون ويزمِّرون لقليل أُعطي، حتى لكأنما القرارُ الدوليُّ هو أن نُسلَبَ حقوقنا لا أن نُعطاها، والموافقةُ هي أن يؤخَذَ منّا لا أن نُزاد، وكأنما السكوتُ الدوليُّ مُتفقٌ عليه أن نموتَ بِبُطء لا أن ننهَضَ بسرعة، وذلك، إلى " أن يقضي اللّه أمراً كان مفعولا".

كلُّ هذا في زحمةٍ من الدعوات إلى المشاركة في الإنتخابات في مأتم الديمقراطية، وفي هجمةٍ ترمي إلى "تذنيب" مقاطعة ال ٩٢ وإلباسِها لَبوس الجريمة، وكأنما اختاروا تحميلَ ديمقراطيتنا جُرمَ موقفٍ ديمقراطي، لو عاشوه هُمْ في بلدانهم، لما وقفوا غَيره. كلُّ ذلك للقضاء على روحِ الرفض الذي أَثبتُم به حقَّكُم في الحياة وبالوقوف في وجه الأمر الواقع الذي فُرِض عليكم، يوم تركوكم بالسكوت تارةً وبالترغيب والتّرهيب طوراً، وحيدين عُزّلاً من كل سلاح. فرفضتم، وكنتم الأكثريتين: مسيحيين ومسلمين في إرادة وطنية شاملة، وموقفٍ تاريخي مشرِّف، فجعلوا المقاطعة مسيحية، رغم أن أرقامها واضحة وعكس ذلك، "وذنّبوكم" عليها، وكان المشاركونَ أقل من الأقلية، فباركوهُم. كنتم ٨٧ بالمئة فقالوا عنكم "باسم الديمقراطية" مسيحيينَ مُحبَطينَ ومُخطئينْ، وكانوا ١٣ بالمئة فصاروا وحدة وطنية جامعة، وأهلَ الرؤية والرويّة والحكمة، وأهلَ الحُكم صاروا، واعترفوا بهم وخذلوكُم، وباركوهُم ولعنوكُم، ووقفوا معَهُم ورذلوكُم، ومدَحوهُم ووبَّخوكُم. وها هم اليوم يؤازرونَهُمْ مجدّداً، ويَحضّونَكُم على السير في رِكابِهمْ ولو إلى الجحيم. حتى وافقوهم وشجّعوهُم على توقيع اتفاقاتٍ معَ الجارِ الشقيق دعماً للاقتصاد الوطنيّ، أدَّت إلى وضعِ يده عليه. وإلى اشتراع قانونٍ للجنسية، ادّى إلى استملاكِ الهوية، وآخر للإعلام المرئيّ والمسموع يؤدي حتماً إلى استملاك الكلمة ونحرِ الحرية.

وآخرُ نصائِحهِم هي أنْ تشاركوا في انتخاباتٍ سوف تؤدي وفق قانونها المُنتَظَر، وكيفية إجرائِها، إلى استملاك إرادة الشعب والمؤسسات، وإلى الإجهاز على المعارضة مرّتين وعلى مرحلتين، للإتيان بمجلسٍ نيابيّ، أين منه المجلسُ الحالي. تُراهم يقبلون بهذا عندَهم؟ تُراهم يتجرّأون على إعلان مثل هذا في بُلدانهم؟ أهكذا يكونُ احترامُ الديمقراطية وقِيمِها ومُثُلِها؟ وهل وُبِّختْ أكثرية ديمقراطية في العالم على موقفٍ كالذي وقفناه عام ١٩٩٢؟ نسألُهم: ماذا لو وُبِّخت الأكثرية الفرنسية على إسقاطها الجنرال ديغول عام ١٩٦٨؟ ولماذا لم توبِّخ فرنسا الرسمية بالأمس القريب عُمّالَها المُضربين ونقاباتِها الناقمة بَدَلاً من أن تتحاورَ معهم؟ وماذا لو وبَّخ جورج بوش الأكثرية التي خَذَلَتْهُ بعد انتصاراتِه الدولية والداخلية؟ ولماذا لم يوبِّخ كلينتون الآن الأكثرية الجمهورية على رفضها لموازنةٍ شلّ عدمُ إقرارها حركةَ الدولةِ في الولايات المتحدة؟ أم تُراهم لهم ديمقراطيتُهم المقدّسة ويريدون لنا ديمقراطية الانتهاك ؟؟؟

يا "أهل الديمقراطية الحديثة"، كانت بيروتُنا أمَّ الشرائع وكُنّا آباءها، وعاصمتُنا عائدةٌ ونحن عائدون، فارفعوا أيديَكم عنّا، وخذوا نصائحَكم ودعواتِكم ووعودَكم وأمانيكم أو اصدقوا فيها، وادعموا حُسنَ تنفيذِها. فنحن لسنا عُشّاق مقاطعة، بل كُنّا ولا زلنا نتوقُ إلى ممارسة حقّنا

الانتخابي في اختيار ممثلينا، غيرَ أنَّ هذا يستَلزمُ شروطاً متعارفاً عليها في الدول الديمقراطيـــة – على رأسها دولُ أهلِ الدعوات إلى المشاركة – أقلُّها ضمان الحرية للناخبِ وللمرشحِ، وضمـــانُ نزاهة الانتخابات وصحّةِ نتائجها، وإلاّ صار المشاركونَ شهودَ زورٍ في مســـرحيةٍ ديمقراطيـــة، الغايةُ منها تكريسُ الأمر الواقع والقضاء على المؤسسات. ونحن اخترنا أن لا نكون شـــهود زورٍ في انتخابات ١٩٩٢ وسنختار أن لا نكون كذلك في أية انتخابات مُقبلةٍ ستكونُ على غِرارها.

أيُّها اللبنانيون، من أجل كلّ هذا، أقولُ لكم: لا تطمئنوا, ولكنّي أقول لكم أيضـــاً: لا تخـــافوا ... فرغم المشاكل الكثيرة والمتشابكة، يقيني أنه لنا عبر كلِّ هذا الظلام المحيط بنـــا، كُـــوّاتُ نـــور ورجاء كفيلة إن اتّحدنا جميعاً أن تُهدينا إلى الشاطئ الأمين. فوحدتُكم هي الضمان، وصمودُكم هو الركيزة، وإيمانُكم بوطنكم وبنفوسكم يبقى خشبةَ الخلاص.

هذا بالإضافة إلى إشارات دولية مُشجِّعةٍ في دولٍ صديقة مخلصةٍ هي في طريقها إلـــى دعمِكـــم، يبقى أهمُّها تلك التي ظهرتْ في "النداء الأخير" للمجمع الراعوي من اجل لبنان، والآمال المعقودة على الإرشاد الرسولي المُزمع صدورُه قريباً عن قداسة الحبر الأعظم – إبنُ بلد المعاناة المشـــهود له بمحبته للبنان وغيرته على بقائه الوطن – الرسالة، بكل ما لهذا التعبير من مقوِّمـــات، وعمّـــا سيتركُه الإرشاد الرسولي المنتظَر من آثار مُشجِّعة في نفوسِ اللبنانيين وشعوبِ الدولِ الصديقـــةِ المؤمنةِ بالقيم.

وختاماً، أحييكُم داعماً جهودَكم ومُثنياً على وعيكم. أتوجّه عبركم، ومـــن خلالِكـــم، إلـــى جميـــع اللبنانيين العاملين لخلاصِ وطنهم، الموافقينَ منهم على نهجِنا السياسيّ والمعارضين لـــه، داعيـــاً إياهم إلى الالتقاء في موقف وطني واحد، موحَّد الجهود لرفض الأمر الواقع والوقوفِ في وجهـــه، طالباً اليهم تخطّي الحساسيات الظرفيّة من اجلِ استعادة الوطن. فلن نكون عائقاً في وجه من يريد ان يخوضَ معركةَ تحريرِ القرار، كما لن نعذُرَ من يتخلّف عن تلبيةِ نداء الواجب.

أيها اللبنانيون، الوطن اليوم بحاجة إلينا جميعاً، طوائفَ وشرائحَ وأحزاب، كباراً وصغاراً، نقابات وعمالاً، معلمين وطلاباً، مقيمين ومنتشرين، فإلى العمل قوموا، وإلى وحـــدة الموقـــف اعملـــوا، وارفضوا الأمر الواقع المفروض، واصبروا على الضيّم والضيّق الاقتصادي الخـــانق، وأحـــوال المعيشة الصعبة، لأنكم إن صبرتم، فالأزمات إلى تحسّن فانتهاء، والغيمة إلى انقشاع، والظلام إلى نور.

وإن لم تصبروا فسوف يأخذونكم – رُغم الوعود البرّاقة – من الأزمة إلى الأزمات، ومن الشِّـــح إلى الفاقة، ومن القلّة إلى المجاعة، ومن الضيّق الاقتصادي إلى الاختناق الكامل، ومن الـــتركيع

إلى الاستسلام.

أيُّها اللبنانيون، أنتمُ اليوم، وقد أحرقوا لكم سُفُنَ نجاتِكم، كجُندِ طارق بن زيـــاد: المؤامــرة مــن أمامكم، والبحرُ من ورائكم، ولا خيار لكم غير الرفض والصمود، فاصمدوا، وارفضوا. الفـــرج آتٍ لا محالة، وإن فعلتم فإنكم لمنتصرون.

عشتم وعاش لبنان سيِّداً حراً مستقلاً.

لاهوت ميزون – فرنسا في ١٧ شباط ١٩٩٦